على العكس ، فقد اقترن مولدها في القرن الثامن عشر بالحركة السياسية والثورية • وكانت في الاصل ، وخلال هذه المرحلة الثورية ، ثورة ضد المعايير الاخلاقية والجمالية الجامدة والمروثة •وقد نشأت في جو مشبع بروح العطف على مآسي الفقراء ودعوات الحكمة ، وهجر مباهج البلاط والقصور وفساد الحياة المترفة ، للعيش في احضان الريف الهادىء بلا طموحات ، للاستمتاع بملذات الدعة والسلام (٩) •

وبالرغم من اقتران الرومنسية في الاصل باسم روسو ، الا انها كانت في بدايتها المانية في الاغلب ، حمل لواءها الشعراء الثائرون والملقبون « بشعراء العاصفة والتوتر » من أمثال جوته وشيلر ، كما وجدت تعبيرها في انجلترا لدى كوليردج ووردزورث وشيلي وبيرون ، وفي أمريكا ايمرسون وثورو Thoreau •

هؤلاء الرومنسيون ، الاوائل ، وهم ينتمون لجيل الثوريين في القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وان جاء تأكيدهم على جوانب اخرى في الطبيعة البشرية غير العقل ، فقد ارتضوا المثل الاعلى الطبيعي الذي كان يسود الفكر في القرن الثامن عشر ، ولكنهم فسروه تفسيرا جديدا • ويبدو هذا واضحا في فكر روسو الذي يعد الينبوع الاول للحركة الرومنسية • لقد آله روسو « الانسان الطبيعي » حتى ضاهى في ذلك العقليين ، ولكن ما هو طبيعي عنده في الطبيعة البشرية ، لم يكن مبنيا على نظام الطبيعة الآلي النيوتوني ، بل على خبرته الشخصية • وفي رأيه ان الانسان الطبيعي ليس هو ذاك الذي يفكر تفكيرا عقليا منطقيا ، ويحكم على الاشياء على اساس ما تحققه من نفع شخصي، بل هو ذاك الذي يشعر ويتأثر • والعقل والذكاء في رأيه من صنع البيئة الاجتماعية ، التي تشكل طبيعة الطفل المرنة وتفسدها بادخالها قسرا في قوالب تقليدية غريبة عنها •

كانت الرومنسية في عصرها الاول ، تضيف وقودا للثورة في كل مكان ، تلك التي اشعلها انصار المذهب العقلي ، وكأنما بها نصوغ شعرا وغناء المشاعر التي تحركها في وجدانات العصر ، المبادىء التي يصوغها العلماء والمفكرون العقلانيون (١٠) • وكان ذلك كله بوحي من التحولات الاجتماعية الجذرية التي حملتها معها نهايات القرن الثامن عشر • ذلك ان الرومنسيين والعقليين مهما اختلفوا ، فقد اتفقوا على أمر واحد هو الايمان بالفردية • ومن هنا فان كلا الفريقين كان هو التعبير الفكري او الوجداني عن مطامح الطبقات الوسطى الصاعدة • وكان روسو وبنتام ولوك من الفلاسفة الانجليز المعنيين ، يجمعهم نفس الهدف ، وهو التحرر من قيود العصور الوسطى الاقطاعية • كان الهدف واحدا بالنسبة لجميع الثوريين ، عقليين او رومنسيين ، وهو خلق الفرد وبناء